لجنة تحقيق عسكرية، وعزت الاسباب الى خيبة امل العرب نتيجة الاخلال بوعود الاستقلال. واستغل الصهيونيون ذلك معتبرين الصدامات نتيجة لفشل الادارة العسكرية. ونجح الصهيونيون، في مساعيهم، في حمل مجلس عصبة الامم على فرض الانتداب البريطاني على فلسطين (وشرق الاردن) والعراق، والانتداب الفرنسي على سوريا (ولبنان). وحصلت مصادمات اخرى، لكنها لم تغير من طبيعة القرارات التي اتخذت، اذ نشر، رسمياً، نص وعد بلفور، واستبدل الحكم العسكري البريطاني بآخر مدني ابتداءً من أول تموز (يوليو) ١٩٢٠، سهل الهجرة اليهودية الى فلسطين، واعتبر العبرية لغة رسمية اضافة الى العربية والانكليزية. وما ان حل العام ١٩٢٤، حتى حصل الصهيونيون وبريطانيا على اعتراف اميركي بالانتداب وبالوطن القومي بعد حصولهم على موافقة فرنسية وايطالية.

ونتيجة لادراك المندوب السامي البريطاني للمخاطر الناجمة عن الصدامات مع العرب، اوقف الهجرة الى فلسطين مؤقتاً، ريثما يستتب الوضع ويهدأ حتى تستمر، مجدداً. واستمرت فعلاً، ولكن باجراءات جديدة تكفل تنظيم وصول المهاجرين. اما الزعماء الفلسطينيون، فقد سارعوا الى عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع، وتقرر ارسال وفود الى بريطانيا، وتقديم مذكرة طالبت بحل المشكلة الفلسطينية على اساس «انشاء حكومة وطنية» و«الغاء فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين...» و«ايقاف الهجرة اليهودية» غير ان الحكومة البريطانية أخذت ترسل صناديق الاسلحة المختومة الى العصابات الصهيونية. وسمحت بفتحها واستخدامها، اذا ما شن العرب هجوماً عليها.

هنا، يتعرض الفصل للمشكلات الداخلية بين الزعامات السياسية الفلسطينية، والتي ادت الى خلافات اضعفت الحركة السياسية في البلاد، الامر الذي اعطى فرصاً للصهيونيين وللمندوب السامي للتحكم، بهدوء وروية، في معالجة وادارة السياسة البريطانية. ثم يتناول الفصل «الكتاب الابيض» الذي ضم مقترحات المندوب السامي الى بلاده، والتي تمت الموافقة عليها. وهذا «الكتاب» هو اول وثيقة بريطانية تتحدث، بوضوح، عن السياسة التي قررت بريطانيا اتباعها في فلسطين. ولكن، على الرغم من اهمية هذه الوثيقة، فقد صيغت بوحي ما لا تنوي الحكومة البريطانية فعله في فلسطين. ويمكن اعتبار هذا الكتاب مناورة اخرى من بريطانيا من اجل تهدئة الجماهير الرافضة للانتداب ولهجرة اليهود، والمناضلة من اجل حكومة وطنية، الامر الذي تأكد في المؤتمر الفلسطيني الخامس.

«الوطن القومي» والكتاب الابيض

في الفصل الثاني، يستكمل المؤلف البحث السابق مركزاً على «أسس الوطن القومي اليهودي» بعد ان فصّل في «نظام الانتداب واطره» التي عرضناها آنفاً. وهنا يرى ان عملية تأسيس ما يسمى بالوطن القومي اليهودي قد تأثرت بالمتغيرات التي طرأت على اوضاع اليهود في العالم إثر انتهاء الحرب العالمية الاولى والنشاط الصهيوني بينهم. واهم هذه المتغيرات هي تلك التي وقعت خلال مرحلة القتال الاولى بين القوى المتصارعة في بولونيا وروسيا الشرقية، حيث كان يقيم، آنذاك، نحو خمسة ملايين يهودي، هم مركز النشاط الصهيوني وقواه البشرية الاساسية.

في آذار (مارس) ١٩١٥، شنت المانيا هجوماً على المناطق الشرقية في روسيا القيصرية أسفر، مع نهايته، عن احتلال المانيا معظم اراضي بولونيا والمناطق الواقعة الى الشمال منها حتى بحر البلطيق؛ ونتيجة لذلك وقع في قبضة الاحتلال الالماني ثلاثة ملايين يهودي، وبقي تحت الحكم القيصري نحو مليونين. في العام ١٩١٧، إعترفت سلطات الاحتلال الالماني بشرعية المنظمة الصهيونية في بولونيا، وسمحت لها بممارسة نشاطها علناً، بينما ظلت الاقليات اليهودية، في مناطق اخرى من العالم، تطالب بمنح اليهود حق ادارة قومية ذاتية في أي مناطق تقطنها اقلية يهودية. وقد نجحت في ذلك عند توقيع اتفاقية الصلح في فرساي، في البند الذي سمي بـ «مادة الاقليات»، الامر الذي سهّل متابعة نشاطها الصهيوني. وخلال هذه الحقبة، الواقعة بين الحربين، توسع النشاط الصهيوني بصورة لا مثيل لها، وشمل الطوائف اليهودية في عشرات الدول في مختلف انحاء العالم، خاصة بعد اصدار وعد بلفور،